في علم العروض نحو ستمائة بيت. وأنشأ باسطنبول جامعاً ومدرسةً سماها «دار الحديث» وانثالت عليه الدنيا. وعمر الدور وانتشر علمه فأخذ عليه الأكابر وحجّ في سنة ٨٦١ إحدى وستين وثمانمائة. ولم يزل على جلالته حتى (مات) في أواخر سنة ٨٩٣ ثلاثٍ وتسعين وثمانمائة، وصلّى عليه السلطان فمن دونه. ومن مطالع قصائده في مدح سلطانه: [من الطويل]

هُـو الـشـمـسُ إلّا أنـه الـلـيـثُ بـاسـلاً هُـوَ الـبـحـر إلَّا أنَّـه مـالـكُ الـبَـرِّ[1]

وقد ترجمه صاحب (الشقائق النعمانية) ترجمة حافلة. وذكر فيها أنَّ سلطان الروم (السلطان مُحمَّد) عرض عليه الوزارة فلم يقبلها، وأنه أتاه مرة مرسوم من السلطان، فيه مخالفة للوجه الشرعي فمزّقه. وأنه كان يخاطب السلطان باسمه ولا ينحني له، ولا يقبل يده بل يصافحه مصافحة. وأنه كان لا يأتي إلى السلطان إلا إذا أرسل إليه، وكان يقول له: مطعمك حرام وملبسك حرام فعليك بالاحتياط. وذكر له مناقب جمة تدل على أنه من العلماء العاملين لا كما قال السخاوي.

٢٥

(أحمد بن أُويس ابن الشيخ حَسَن ابن الحُسين بن أقبغا بن ايلكان بن القان، غياث الدين)[2]

صاحب بغداد وتبريز وسلطانهما. ملك بعد أبيه المتوفى بتبريز في سنة ٦٧٦ ستٍّ وسبعين وستمائة فأقام إلى سنة ٦٩٥ خمسٍ وتسعين وستمائة. ثم قدم حلب ومعه نحو أربعمائة فارس من أصحابه جافلاً من تيمورلنك حين استيلائه على بغداد لائذاً بالظاهر بَرْقُوق[3]. فأرسل الأمر بإكرامه. ثم استقدمه القاهرة وبالغ في إكرامه بحيث تلقاه. وأرسل له نحو عشرة آلاف دينار، ومائتي قطعة قماش، وعدة خيول، وعشرين جارية ومثلها مماليك. وتزوّج السلطان أختاً له وأقام في ظله إلى أن سافر معه حين توجهه بالعساكر إلى جهة الشام وحلب. فلما رجع عاد أحمد إلى بلاده بعد أن ألبسه تشريفاً، وتزايدت وجاهته وجلالته، فلم يلبث أن ساءت سيرته، وقتل جماعة، فوثب عليه الباقون وأخرجوه، وكاتبوا نائب تيمورلنك بشيراز ليستلمها ففعل، وهرب هذا إلى قرا يوسف التركماني بالموصل. فسافر معه إلى بغداد فالتقى به أهلها

(١) الباسل: من أسماء الأسد، سُمِّي بذلك لعبوسه وشِدَّته وشجاعته.

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع: ١/ ٢٤٤؛ الأعلام: ١/ ١٠٢.

(٣) هو أبو سعيد، سيف الدين، برقوق بن أنص العثماني، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. توفي بالقاهرة سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. (الأعلام: ٢/ ٤٨).

فكسروه، وانهزما نحو الشام وقطعا الفرات ومعهما جمع كبير من عسكر بغداد والتركمان. ونزلا بالساجور قريباً من حلب، فخرج إليهما نائب حلب وغيره من النواب، فكانت وقعة فظيعة انكسر فيها العسكر الحلبي وأسر نائب حماة. وتوجها نحو بلاد الروم، فلما كان قريباً من بهسنى التقاه نائبها وجماعة فكسروه واستلبوا منه سيفاً يقال له (سيف الخلافة) وغير ذلك. وعاد إلى بغداد فدخلها ومكث بها مدة حاكماً، ثم جاء إليها التتار فخرج هارباً بمفرده. وجاء إلى حلب في صفر سنة ٧٠٦ ستٍّ وسبعمائة وهو بزي الفقراء فأقام بها مدة، ثم رسم الناصر باعتقاله، فاعتقل بها. ثم طلب إلى القاهرة فتوجه إليها واعتقل في توجهه بقلعة دمشق ثم أطلق بغير رضاء السلطان، وعاد إلى بغداد ودخلها بعد أن نزل التتار عنها بوفاة تيمورلنك. واستمر على عادته، وتنازع هو وقرا يوسف فكانت الكسرة عليه فأسره وقتله خنقاً في ليلة الأحد سلخ شهر ربيع الآخر سنة ٧١٣ ثلاث عشرة وسبعمائة. وقد طوَّل ابن حَجَر ترجمته في أنبائه، وقال: إنه سار السيرة الحائرة وقتل في يوم واحد ثمانمائة نفس من الأعيان. قال: وكان سفاكاً للدماء متجاهراً بالقبائح، وله مشاركة في عدة علوم كالنجوم والموسيقى، وله شعر كثير بالعربية وغيرها. وكتب الخطَّ المنسوب، مع شجاعة ودهاء وحيل، ومحبة لأهل العلم. وقال ابن خطيب الناصرية: كان مهيباً له سطوة على الرعية، فتاكاً منهمكاً على الشرب واللذات، له يد طُولى في علم الموسيقى.

٢٦

(الإمام المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن مُحمَّد)[١]

سيأتي تمام نسبه في ترجمة والده. (ولد) رحمه اللَّه سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف، ثم لما بلغ مبلغ الرجال ظهرت منه شجاعة وبراعة وقوة جنان وإقْدام زائد، ووقع منه في أيام عمه المؤيد باللَّه مُحمَّد بن القاسِم بعد موت والده المجاهد الحَسَن ابن الإمام بعض مخالفة، ثم عاد الأمر إلى الموافقة، واستمر في أيام المؤيَّد إلى آخرها. ثم في أيام عمّه الإمام المتوكل على اللَّه إسماعيل. وجاهد في أيامه الجهادات المشهورة وأوقع بأهل البغي الوقعات المأثورة ودخل بالجيش، مرة بعد أخرى، إلى حضرموت ودوَّخ[٢] تلك الممالك، وأذعن له سلاطين يافع، بل وصلوا تحت ركابه إلى الإمام. ثم دخل الجوف مرَّة بعد مرَّة، وما زال في مجاهدة ومناصرة للحق ومدافعة للظلمة والبغاة، حتى مات عمه المتوكل على اللَّه فاجتمعت الكلمة من

(١) ترجمته في: الأعلام: ١/ ١١٢.

(٢) دَوَّخَ البلاد: أخضعها وأذلَّها؛ ودوَّخ المكان: جال فيه.